

الأطباء على مائدته ممن كان مخالفاً للبرامكة إلا جبريل بن بختيشوع،<sup>(١)</sup> وقد طوى عنه سرّاً ما عزم عليه من إقصائهم عن المراتب إلا كلمة حسد قالها له حين رأى إقبال الملوك على بابهم،<sup>(٢)</sup> وأنا اليوم أسير حينئذ حتى لا يفوتني الرجوع إلى بغداد قبل وصول جعفر بموكب الحجاج .

## الرياسة العائرة

« أصبت بسادة كانوا عيوننا بهم تُسقى إذا انقطع النمام »  
أكتب هذه الرسالة إليك والدمع جارٍ في الآفاق ليس على البرامكة وهم أحياء في الناس ، ولكن على الدنيا التي ذهب خيرها وعفت البلية رسوم محاسنها ، حتى كأنها طللٌ من هذه الاطلال التي يهجرها الأنس ولا يقف عندها إلا الباكون النادبون .

كنت قبل الوصول إلى الرقة قد وافاني من قبل البرامكة رسول يستقدمني إليهم ويعلمني أن الكتاب الذي أحمله الى عاملها يأمره فيه الرشيد بأن يستبقيني عنده ويمعني من الرجوع الى الحضرة لما داخله في من الرئية ، ففضضت الكتاب فوجدت فيه تلك الاشارة ، فأصابني من الانقباض ما يصيب الرجل المستسلم للحين ، لأني ما كنت أراني ناجياً من وقوع الغدر بي ووصول المكروه الى . ووقفت أتساءل فيما قام بنفس الرشيد من سوء المظنة بي بعد أن أدت رسالته حقها من الاخلاص ،

(١) ذكر ابن خلدون في المقدمة ١٦ أنه كان ينظر في طعام الرشيد

(٢) الاتليدي والفقري

وخدمته خدمة الناصح الأمين، فلم أجد في نفسي علةً إلا المودة التي بيني وبين البرامكة،<sup>(١)</sup> فأتاني أن أنضم إليهم، فقامت لساعتي وتبدلت بزيتي زيَّ الحجاز الجاف ثم ركبت إلى بغداد متنكراً كيلا يعرفني أحد من الناس.

فلما وصلتُها وجدت في أهلها ذلك الحول الذي يقع في الجماعة من هول عظيم، فاستدلت بذلك على وقوع الأمر بينهم وبين الرشيد، فأسرعت إلى منازلهم فوجدتها مغلقة وعلى أبوابها حرس الخليفة قد وقفوا بالسيوف، فاسودت الدنيا في عيني وامتلاً قلبي من الوحشة وكدت أفقد إحساس رجلي من الجهد، إلا أنه لم يكن لي وأنا طلبة الخليفة أن أطيل الوقوف تلقاء دورم، فرجعت أمشي على غير دراية لعل أصادف صديقاً أتوجع إليه وأستطلع أخبارهم من قبله، حتى وصلت إلى دار إسحق النديم<sup>(٢)</sup> فدخلت الدار وحسرت اللثام عن وجهي، فلما عرفني تفرقت عيناه دموعاً، وقال بم أندب البرامكة؟ أعزيزك أم أعزى نفسي أم أعزى الأيام بقدم؟ وبكى حتى حنقته العبّرة، وكنت في ذلك الوقت لا أعي من شدة الهول، ولم يكن إسحق يكلمني عن أمرهم مع الرشيد إلا كلاماً متقطعاً ممزوجاً بالزفرات ...

قد علمت مما مضى إليك في الرسالة السالفة موقف البرامكة مع الرشيد، هو يحاول الإيقاع بهم حسداً على ما صار إليهم من النعمة، وهم

(١) ذكره الأغاني ١: ٢٥٠ و ٢: ١٢٣ وقبض الرشيد على صنائع البرامكة ومن هو مشهور بمخالطهم مذكور في كتب التاريخ (٢) في الأغاني ٥ أن إسحق بقى ميالا مع البرامكة بعد مقتل جعفر

يسلكون معه مسلَكَ المودة ليرجع عما قام بنفسه من الحقد وإلا أثاروا الخُرَّاسانيين خروجاً عليه في دعوة أهل البيت . وعلمت أن الفضل بن الربيع كان موقناً بزوال النعمة عنه مع بقاء الزمامة ، وأنه كان يخوف الرشيد مؤامرتهم مع الفرس ويذكر له أن الخلافة في موقفٍ بعيدٍ عن التخلص من دَهاثهم ، إذ كانت الملوك طوعَ أمرهم وأموالُ الدولة كلها بأيديهم ، حتى ملأ صدره من غداوتهم . ثم علمت أن الرشيد كان قد أهدام مسروقاً غلامه ليوهمهم رضاه ، ولكنك تعلم أنه كان بينه وبين هذا الغلام مواطاةً على نقل أحاديثهم إليه وعداً أنفاسهم عليهم ومراقبتهم في جميع حركاتهم خديمةً منه ، حتى إذا نقل إليه الكلام الذي كان يحدثني به جعفر في المشاعر المباركة عمد إلى هدر دمه الزكي ، ووجهني إلى الرقة مثلَ المجرمين الذين في نفوسهم تبعه من شرٍّ نعوذ بالله من سُخطه .

وقد حدثني إسحق أن الرشيد كان قبل اليوم الذي نكبهم فيه قد ركب إلى أرباض المدينة ومعه إسماعيل بن يحيى الهاشمي وجماعة من أقاربه ، وبينما هو يسير إذ نظر إلى موكبٍ عظيمٍ قد اعترضه عن بعد ، فقال لإسماعيل يا إسماعيل لمن هذا الموكب ؟ قال لأخيك جعفر ، فالتفت عيناً وشمالاً وإلى من معه فاذا هم شِرْذِمَةٌ قليلون ، ثم نظروا إلى الموكب الذي فيه جعفر فلم يره ، فقال يا إسماعيل ما فعل جعفر وموكبه ؟ فقال يا سيدي قد مضى أخول في طريقه ولم يعلم بموضعك ، فقال مارآنا أهلاً لأن يزينا بموكبه وجماعتنا بجيشه ، فقال عفواً يا أمير المؤمنين إنه لو علم بموضعك ما تعداك ولا سار إلا بين يديك . ثم سار حتى انتهى إلى ضيعة عامرة ومواش كثيرة وعمارة - نة ، فقال يا إسماعيل لمن هذه الضيعة ؟ فقال لأخيك جعفر ،

فسكت الرشيد وتنفس في كمد ثم سار وما زال يمر بضياح بعضها أعمر من  
بعض وكلما مرّ بضية سأل إسماعيل عنها فيقول هي لجعفر ولأخوته ، حتى  
وصل إلى الحضرة ، فلما خلا مجلسه قال يا إسماعيل انظر إلى البرامكة أغنيانهم  
وأقربنا أولادنا وأهل بيتنا ، فإني لا أعرف لأحد من أولادنا ضيعة من  
ضياح البرامكة <sup>(١)</sup> على طريق واحد بقرب هذه المدينة فكيف بما هو لهم  
من غير ذلك على غير هذه الطريق في جميع البلدان ؟ فقال إسماعيل يا أمير  
المؤمنين انما البرامكة عبيدك وخدمك والضيعات وأموالهم وجميع ما يملكون  
هولك ، فنظر اليه نظرة جبار وقال والله يا إسماعيل ما عدّ البرامكةُ بنى  
هاشم الآ عبيدَهم ، وإن الدولة لهم ، ولا نعمة لبني العباس الآ وهم  
المنعمون بها عليهم ، فقال أمير المؤمنين أبصر من غيره بخدمة ومواليه ،  
فقال والله يا إسماعيل إنك لتعلم أني قلت هذا وكأني بك تخبرهم به فتخذ  
به يداً عندهم ، وإني آمرك أن تكلم هذا الأمر فانه لم يعلم به أحد غيرك ،  
ومتى بلغهم شيء مما جرى بيني وبينك علمت أنه ما أفشاه الآ أنت ، فقال  
يا أمير المؤمنين أعوذ بالله أن مثلي يُفشي سرّك ، ثم ودعه وجاءه من الغد وهو  
في محل من قصره يُشرف على دجلة وبازائه منازل البرامكة التي كانت  
محفوظةً باليمن والبركة ، فقال يا إسماعيل هذا ما كنا فيه بالأمس ، انظر كم  
على باب جعفر من الجيوش والعلمان والقواد والمواكب وليس على باب  
داري أحد ، فقال يا أمير المؤمنين ناشدتك الله الآ يعلق بنفسك شيء من  
هذا ، فانما جعفر خادمتك ووزيرك وصاحب جيوشك ، وبابه باب من  
أبوابك فاذا لم يكن الجند على بابه فعلى باب من يكون ؟ فقال والله إن

البرامكة قد ملكوا الدولة واحتجفوا أموال الجباية وانصرفوا عن خدمتي الى محبة العلويين وتميز شيعتهم ، وأنا لا أصبر على ذلك <sup>(١)</sup> .

وكان جعفر في ذلك الوقت قد عزم على الركوب الى خراسان <sup>(٢)</sup> وهو عالم بما أضر الرشيد له ولأهل بيته من سوء ، فما أحب أن يتركهم بغير حراسة ، وإنما أبقى في يد الفضل رجالا يعرف فيهم الأمانة ليقبضهم مكيداً الرشيد حتى اذا قدم الحرمين في دعوة أهل البيت وجد في العراق من يستعين به على العباسيين . غير أن الرشيد قد فطن لما كان يبشره من تعبئة الجند فأيقن بالاشراف على الخطر ، إلا أن يتمحل في أمر يغلبه به قبل ركوبه الى خراسان ، فأرسل إلى بني هاشم تحت الليل أن يضموا إليهم جماعاتهم ، وأمر الفضل بن الربيع أن يحوِّط دور الخلافة بما بين يديه من الحرس والغلمان وأرسل إلى يزيد بن مزيّد الشيباني <sup>(٣)</sup> أنه إذا ركب جعفر من الغد إلى دور الخلافة يبعث بمن يحوِّط البرامكة ويقبض عليهم <sup>(٤)</sup> ، واستبقى الأمر سرّاً لم يستخدم في قضائه إلا جماعة من أقاربه <sup>(٥)</sup> دون الغلمان الذين كان يغرهم جودهم وكرمهم ، ثم أرسل في تلك الليلة إلى جعفر من يقول له إنه يمكنه من بيوت المال أن يتناول منها ما يشاء ، ويأخذ من الجند الى خراسان من ينتخبه ويريده ، وأن أمانته فوق كل أمانة وأمثال هذه المصانعة ، حتى لا يفتنوا لما أخذ في تديره من اغتيالهم . وكان جعفر يعلم بما في تمحل الرشيد من المصانعة والرياء ولكنه ظن أنه يريد استمالتهم ورجوعهم إلى الثقة به

(١) أبو الفداء ٢ : ١٧ (٢) ذكر الاتليدي أن جعفراً كان عازماً على

الركوب الى خراسان في ذلك الوقت (٣) وقد تقدم أنه كان منحرفاً عن البرامكة

(٤) ابن الأثير وأبو الفداء والعقد الفريد (٥) ابن خلكان ١ : ١٥٢

لا أنه يريد نكبتهم في صباح تلك الليلة .  
ولما أصبح الرشيد استدعى خادمه مسروراً<sup>(١)</sup> وقال له قد انتخبتك  
لأمر لم أره محمداً ولا عبد الله ولا القاسم<sup>(٢)</sup> فحقق ظني فيك واحذر أن  
تخالف قهلك ، فقال مسرور لك على إمرة مطاعة ، فرني بقتل نفسي .  
أفعل ، فقال له امض الساعة إلى الحديقة وحوطها بالحرس وضم إلى جماعة  
من الغلمان ثم اذهب إلى جعفر وحنني به وقل له إنه وردت كتب من  
خراسان ، فإذا دخل الباب فلا تدع من معه يدخل بعده ، فإذا تمكنت منه  
فخذ رأسه ولا تراجعني في ذلك ، وإياك إياك أن يفوتك الأمر . فسار  
مسرور إلى جعفر فأصابه في داره قد طرح نفسه ليستريح ، فقال له  
يا سيدي أمير المؤمنين يدعوك لرسائل وردت الساعة في خريطة البريد من  
خراسان . فلبس جعفر ثيابه وتقلد سيفه ثم ركب في جماعة من الحرس  
والجند ، لأنه لم يكن بآمن من غدر العباسيين به ، فلما دخل الباب طلع  
عليه من في الحديقة من الحرس وحاولوا رد غلمانه وهم غير مأمورين  
بالقتال ، فانفرد به مسرور وبضعة عشر رجلاً دخلوا معه الباب فجرد عليه  
السيف وصاح بمن معه من العبيد فأهدروا دمه . وإني لست أنسب الشر  
إلى مسرور هذا الخادم اللئيم ، فإهو الآذنب من استرعاه وهو الرشيد ،  
ومن استرعى الذئب فقد ظلم ، ومع ذلك إني لا أبرئه من تبعه ذلك  
الآثم الفظيع ، ولا أرى بينه وبين شديد العقاب الآ الموت الذي يساق  
بعده إلى دار العذاب .

(١) الاتليدي والأغانى ١١ : ٥٤ وابن خلكان ١ : ١٥٢ وابن الأثير ٦ : ٦٣

(٢) قوله محمد وعبد الله والقاسم يريد بهم الامين والمأمون والمؤمنين أولاده

هذا ما بلغني من إسحق ثم سمعت في أحاديث الناس أن جعفرًا لما صار في وسط الحديقة ولم ير معه الجند ارتاعَ وندم على ركوبه في تلك الساعة ، فقال لسرور يا أخي ما القضيةُ ، فقال ياسيدي إن أمير المؤمنين قد أمرني بقتلك ، فيقولون إن جعفرًا بكى حينئذ وجعل يقبل سروراً ويقول له أنت تعلم إكرامى لك دون خدَم الرشيذ وأن حاجاتك عندي مقضية في جميع الأوقات ، وأنت تعرف مكاتني عند الرشيذ وما يوجه إلى من الأسرار ، ولعل أن يكونوا بلغوه عنى باطلا ، وهذه ألف ألف دينار ، وفي رواية عشرة آلاف ألف دينار أدفمها إليك الساعةَ وخلصني أهمي على وجهي ، فقال لا سبيل إلى ذلك ، فقال احملني إليه وقضني بين يديه ولعله إذا وقع نظره على تدركه الرحمة فيصفح عني ، فقال وهذا أيضاً لا سبيل إليه ،<sup>(١)</sup> ولا يمكنني مراجعته ، فقال توقف عني ساعةً وامض إليه وقل له إنك فرغت مما أمرك به واسمع ما يقول ثم عد وافعل ما تريد ، وإني أشهد الله وملائكته على أني أشاطرك نعمتي وأوليك من الأمور جسيماً إن فعلت ذلك وسلمت لي نفسي ، ولم يزل به وهو يبكي فيما يقولون طمعاً في الحياة حتى قال له ربما يكون ذلك ، ثم إنه وكَّل به غلماناً من السودان يحفظونه ومضى إلى الرشيذ وهو جالس يقطر غضباً ، فلما رآه قال له تكلك أمك ما ذافلت ؟ فقال يا أمير المؤمنين قد أنفذت أمرك ، قال فأين رأسه ؟ قال في قبة الحديقة ، قال فأتني بها الساعة ،<sup>(٢)</sup> فرجع سرور وجعفر يصلي وقد ركع ركعة فلم يمهله أن يصلى الثانية بل سل سيفه وضرب عنقه وأخذ رأسه وطرحه بين يدي الرشيذ يشخب دماً ، فيقولون إن الرشيذ تنفس الصعداء وبكى بكاء

(١) الأغاني ١١ : ٥٤ والالتلیدی ١٣٧ (٢) ابن الاثير ٦ : ٣٦

شديداً ، وجعل يقول كالمعاتب يا جعفر ألم أحلّك محلّ نفسي ؟ يا جعفر ما كافأتني ولا عرفت حقّي ولا حفظت عهدى ولا ذكرت نعمتى ولا فكرت فى صلاح أمرى ، يا جعفر قد غرّتك نفسك فدار عليك الدهر ، وكان يقول هذا وهو يقرع أسنانه بالقضيب بعد الكلمة والكلمة ، وكان ذلك بين سلخ المحرم<sup>(١)</sup> وأول صفر<sup>(٢)</sup> .

### وقوع التوانى فى السولة بعد نكبة البرامكة

ولما اتصلت بى هذه الأخبار الفاجعة انهملت عيناى بالدموع لقتل جعفر النفس الزكية بقضاء لا حيلة بعده الا اللوعة والندم . فكنت مثل الرجل الذى يرى فى منامه هو لا ينزل به وهو لا يدرك سره . ولا يجد لنفسه مرداً يتقى به شره . وإن كان يسوءنى من الرشيد احتياله فى مصانعة البرامكة<sup>(٣)</sup> قبل ركوب جعفر الى خراسان ليذهلوا عن تديروما يتقون به مكايده ظناً بزوال ما عنده من الموجدة ، مع أنه كان يضمر قتلهم<sup>(٤)</sup> (والعياذ بالله من شرور النيات) . فانى ليسوءنى أكثر من ذلك تتبعه النعمة فيمن أخذهم منهم (كشفت الله النعمة عن قلوبهم) فقد بلغنى عن يحيى والفضل (واحرقتاه) جهّد شديد يقاسيانه فى الحبوس ، فانهما ليطلبان الماء الفاتر للوضوء فلا يحصلان عليه ، ويشتهيان الطعام تأتتهما به الحراس فلا يجدان من يطبخه لهما فيتوليان طبخه بأنفسهما ويقومان على القدر<sup>(٥)</sup> مع جلالة

(١) ابن خلكان ٢ : ١٥٢ (٢) أبو المحاسن ١ : ٥٢٦ (٣) فى الأغاني

١١ : ٥٤ وغيره أن الرشيد كان يصانع البرامكة (٤) فى المقد ٣ : ٣١ انه كان

يريد قتلهم (٥) الاتليدى ١٧٨

قدرهما فيارحمتهما هؤلاء الملوك الذين أخذهم الرشيد غدرًا<sup>(١)</sup> تنعاه عليه الأبا  
ويُسأل عنه في يوم القيام . وإني لأحسب جعفرًا مع ما أصابه من الأ  
الفضيع أكبرَ حظًا من أبيه واخوته ، إذ قدم على ربه شهيدًا في دعوة أهن  
البيت ولم يصر إلى هذا الهوان<sup>(٢)</sup> الذي صاروا إليه وهم الذين عرقهم  
عظاء الملة . والرؤساء من أهل التجلة . والذين آتوا الرشيد بحكمتهم منعة لم  
يكن مثلها للدولة من دول الاسلام .

ولقد كنت أحب أن أتوصل إلى موضع البرامكة أو استنبط حيلة  
لا تقاذم مما يمانون من الشدة ، غير أني رأيت الأمر لا يتم على الوجه الذي  
أرومه إلا بالقوة التي تغالب الحرس . ولما كانت جماعتنا في بغداد  
فئة قليلة من الرجال وأكثرهم داخل في جيش الخليفة وتحت إمرة  
العباسيين أيقنت أن مجاهرة الرشيد بالمعدوان قبل العودة إلى فارس ليست  
من الرأي الصواب ، ولم يكن إحجابي عن ذلك خوفًا على نفسي من القتل  
لأن النفوس لا يعظم بذلها في سبيل البرامكة ، ولكن رحمة بهم من جور  
الرشيد الذي يضيق عليهم بقدر ما يرى من ميل الناس الى الوصول اليهم  
أو الثأر بدمهم ، فقد بلغني أنه لما قام عثمان بن نهيك ليثأر جعفر؟ وهو يقول  
والسيف صلت في يده . ياضل ما تجرى به العصا ، وا جعفره . واسيداه .  
والله لأقتلن قاتلك ولائأرن بدمك<sup>(٣)</sup> عزم الرشيد بعد قتل عثمان هذا المبرز  
سيفه الكريمة نفسه على التضيق عليهم وتفريقهم في الجبوس المنقطعة

(١) الفخرى (٢) ذكر هوان البرامكة في محبهم ابن الاثير وابن عبد ربه

والابشهي والاتليدي وأبو الفرج وغيرهم (٣) ابن الاثير ٦: ٦٦

وقبض ضياعهم عن أهل يتهم<sup>(١)</sup> حتى يقتلهم بالشدة التي هي أمرهن للقتل وقد مضى على اليوم في بغداد وأنا متقطع النفس سبعة وأربعون يوماً لم آل فيها جهداً للوصول إليهم فلم أحصل على ذلك مع وفور ما بذلته من المال، وكنت أحب أن ألقى أحداً من خدمهم وحُجَابهم فلم أظفر بواحد منهم في بغداد، وكأني بهم قد تصدَّعوا في الآفاق<sup>(٢)</sup> في جملة من هرب من غلمانهم وجواريهم ومغنياتهم<sup>(٣)</sup> ومن هو معروف بمخالطتهم من العلماء والشعراء والندماء وأهل الأدب، غير أنني رأيت فيمن بقي من الطامعين فيهم دموعاً يسترونها عن العيون، وما وجدت منهم الا منقبض النفس ومن يذيه الأسف عليهم حتى كأنهم صدع واحد في لوم الرشيد على قتلهم<sup>(٤)</sup> فما أذكر أنني نزلت مرة الى السوق الا نظرت رقاع الأشعار معلقة على الحيطان رثاءً لجعفر وندباً للدنيا لما لحق أهله من التكبّة الفظيمة. ومما بقي في ذهني من هذه الأشعار قول بعضهم وأظنه الرقائى أو أبانواس<sup>(٥)</sup>

الآن استرحنا واستراحت ركابنا	وأمسك من تجدى ومن كان يجتدى
فقل للمطايا قد أمنت من السرى	وطى الفيافي فدفداً بعد فدفد
وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر	ولن تظفري من بعده بمسود
وقل للمطايا بعد فضل تعطلى	وقل للرزايا كل يوم تجدى

(١) أبو الفداء ٢: ٨ والأغانى ٨: ٧٩ والالتلدى ١٧٤ وابن الأثير ٦: ٣٦

(٢) الالتلدى ١٧٤ (٣) الأغانى ٣: ١٨٣ (٤) أبو المحاسن ١: ٥٢٧

والفخرى وابن الأثير ٦: ٧ والعقد الفريد والالتلدى (٥) ابن الأثير ٦: ٦٤

وأبو الفداء ٢: ١٨ والمسعودى ٢: ٢٧٩

ودونك سيفاً برمكياً مهتداً  
أصيب بسيف هاشمي مهتداً  
وقولهم<sup>(١)</sup>

يامنزلاً لعب الزمان بأهله  
فأبادهم بتفرق لا يجمع  
إن الذين عهدتهم فيما مضى  
كان الزمان بهم يضرب وينفع  
أصبحت تُفزع من رآك وطالما  
كنا إليك من المخاوف تفزع  
ذهب الذين يعاش في أكنافهم  
وبقي الذين حياتهم لا تنفع  
وقرأت رقعة مكتوباً عليها هذه الآيات وأظنها من نظم أنس بن  
أبي شَيْخِ النَّصْرِيِّ<sup>(٢)</sup> صاحب جعفر برد الله مضجعه وسقى ضريحه صيب  
الرحمة والرضوان

لعمرك ما في الموت عار على الفتى  
إذا لم تُصبه في الحياة المعابر  
ومن كان مما يُحدث الدهرُ جازعاً  
فلا بد يوماً أن يرى وهو صابر  
فلا يُبعدنك الله عن جعفرأ  
بروحى ولو دارت على الدوائر  
فأليت لأنفك أبكيك مادعت  
على فنٍ ورقاه أو طار طائر<sup>(٣)</sup>  
وقال علي بن أبي معاذ<sup>(٤)</sup>

يا أيها المغترُّ بالدهر  
والدهرُ ذو صرْفٍ وذو غدر  
لا تأمن الدهرَ ووصولاته  
وكن من الدهر على حذر  
إن كنت ذا جهل بتصرفه  
فانظر إلى المصلوب بالجسر  
وخذ من الدنيا صفا عيشها  
واجر مع الدهر كما يجري

(١) الاتلیدی ١٨٠ (٢) ذكره صاحب الاغانی ١٧: ٣٣ وقال صاحب

العقد الفريد ان الرشيد قتله بعد نكبة البرامكة ١: ١٨٨ (٣) الاغانی ١٥: ٣٦

(٤) المسعودی ٢: ٢٢٩

كان وزير القائم المرتضى  
وكانت الدنيا بأقطارها  
يُشيدُ الملك بآرائه  
فبينما جعفر في ملكه  
يطير في الدنيا بأجناحه  
إذ عثر الدهر به عثرةً  
فغودر البأس في ليلة السـ  
وجىء بالشيخ وأولاده  
والبرمكيين وأتباعهم  
كأنما كانوا على موعد  
وأصبحوا للناس أخذوةً

وقال سلم الخاسر

خوت أنجم الجدوى وشلت يد النوى  
هوت أنجم كانت لأبناء برمك

وقال أشجع السلمى

ولّى عن الدنيا بنو برمك  
كأنما أيامهم كلها

وقال فيهم أيضاً

قد ساد دهرٌ بينى برمك  
كانوا أولى الخير وهم أهله

وقال فيهم صالح الأعرابي

وذا الحجا والفضل والذكر  
إليه في البر وفي البحر  
وكان فيه نافذة الأمر  
عشية الجمعة بالقصر  
يأمل طول الخلد والعمر  
يا ويلنا من عثرة الدهر  
بت قبلا مطلع الفجر  
يحيي معاً في الغلّ والأسر  
من كان في الآفاق والمصر  
كموعد الناس إلى الحشر  
سبحان ذى السلطان والأمر

وغاضت بحار الجود بمد البرامك  
بها يعرف الهادى طويل المناسك

فلو توالى الناس ما زادوا  
وهى لأهل الأرض أعياد

ولم يدع فيهم لنا لقياً  
فارتفع الخير عن الدنيا

لقد خان هذا الدهرُ أبناءَ برمكٍ      وأى ملوك لم تخنها دهورها  
ألم يك يحيى والى الأرض كلها      فأضحى كمن وارتته منها قبورها  
وقال واحد من بيت البرامكة فى رثائهم وقيل بل هو سليمان الأعمى  
أخو مسلم بن الوليد

أصبتُ بسادة كانوا عيوناً.      بهم نسقَ إذا انقطع الغمام  
فقلت وفى الفؤاد ضريم نار      وللهبات من عيني انسجام  
على اللذات والدينا جميعاً      ودولة آل برمك السلام  
جزعت عليك يا فضل بن يحيى      ومن يجزع عليك فلا يلام  
هوت بك أنجم المعروف فينا      وعزّ بفقدك القوم اللثام  
وما أبصرت قبلك يا ابن يحيى      حُساماً قده السيف الحسام  
إلى أن يقول

أأهو بعدكم وأقرّ عيناً      على اللهو بعدكم حرام  
وكيف يطيب لى عيش وفضلُ      أسير دونه البلد الشام  
وجمفرُ ثاويًا بالجسر أبلت      محاسنه السمائم والقتام  
أمرُ به فيغلبنى بكأى      ولكنّ البكاء له اكتام  
أقول وقت منتحباً لديه      الى أن كاد يفضحنى القيام  
أما والله لولا خوفُ واثى      وعين للخليفة لاتنام  
لطفنا حول قبرك واستلمنا      كما للناس بالحجر استلام<sup>(١)</sup>

فكان الرشيد يخاف من كثرة البكاء عليهم وقوع الفتن فى الدولة  
فلذلك منع الشعراء من رثائهم<sup>(٢)</sup> وجعل عقاب من يُقدم على ذلك القتل،<sup>(٣)</sup>

(١) الأغانى ١٥ : ٣٦ (٢) الفخرى والنواجى والأتليدى (٣) الاسجاقى ٩٨

وأمر الحراس أن ينزعوا الرقاع التي علقوا في الأسواق لئلا يثور نائر الشعب من الشعب،<sup>(١)</sup> ولكنه لم يبلغ من ذلك الغاية التي كان يرومها من محو ذكرهم<sup>(٢)</sup> وطمس معالمهم بعد أن زينوا الخلافة بحاسنهم خمسين سنة وانطبعت في قلوب الناس محبتهم<sup>(٣)</sup> بما صنعوا من المعروف وبذلت أيديهم من العطاء. ثم إن خوفه من غوائل هذا الأمر لا يقف عندما كان يراه من وقوع الفتن في الدولة فربما وصل إليه أن فارس قد قامت فيها القيامة، وأن خراسان<sup>(٤)</sup> قد عصفت فيها ريح الفتنة، والمغرب قد تضعض حكمه في يد ابن الأغلب، والروم قد جاشوا في بلدهم وامتنعوا عن تأدية الجزية لعلهم باختلال الدولة بعد نكبة البرامكة وضعف آل الربيع الذين تولوا الوزارة بعدهم، ولا أرى لهم بها استمتاعا طويلا كما يشير أبو نواس إلى ذلك بقوله<sup>(٥)</sup>

مارعى الدهر آل برمك لما أن رمى ملكهم بأمر فظيع  
ان دهرًا لم يزع عهدًا ليحي غير زاع زمام آل الربيع<sup>(٦)</sup>

حتى إذا اتصل بهم خبر الروم والتوائهم عن الخراج لم ينبهم العزم ولا الحزم على ابلاغ الرشيد بأنفسهم<sup>(٧)</sup> بل اتخذوا طريقة البلاغ على السنة الندماء، وفي ذلك يقول الشاعر استخفافاً بالأمر، وهذا بعيد عن سياسات

(١) أعلام الناس ١٧٤ (٢) ابن الأثير ٦: ٧٥ والعقد الفريد ٣: ٢٦  
وإن خلكان (٣) الأتليدي وابن الأثير والفقري وأبو الفداء (٤) الأتليدي ١٧٤  
(٥) كان أبو نواس منحرفاً عن الفضل بن الربيع وفيه يقول.

أها الراكب امجد الى الفضل ترفق فنون فضل حجاب  
ونعم هبك قد وصلت الى الفضل فهل في يدك الا التراب

(٦) المحاضرة ٢: ١١٤ (٧) الأغاني ١٧: ٤٦

الدول (١)

نقض الذى أعطاه تقفور فعليه دائرة البوار تدور  
أبشر أمير المؤمنين فانه غم أتاك به الأله كثير  
فتأمل (رعاك الله) هذه الدولة التى كانت زينة الدنيا فى أيام البرامكة (٢)  
كيف صارت الى رجال لا رأى عندهم ولا عزيمة ، فان يبلغك عن ومنها  
خبر فيما بعد فاعلم أن صدور هذا الفتور ناشئ عن فتور الصدور . وهذه  
الجنود التى تراها فى قبضة الرشيد لا تنفع دولته ما لم يكن عنده عقل يدير  
به سياسته ، فكم رأينا من دولة كانت فى العالم عظمة فأعمى ساستها الجهل  
فانحطت لفقدان الحكمة . ودولة كان أمرها فى توان فتولاها رجال كبراء  
أصلحوا ما فيها من الاختلال ، وصعدوا بها من العزة المقام الذى لا ينال .  
وتأمل الدولة الأموية كيف قامت بمعاوية بطل السياسة والتدبير اذ ضم  
الاسلام الى مصلحة واحدة من طرف المشرق الى أقصى المغرب ، (٣) ثم  
أقام دولته على هذا الأساس المتين ، ثم تأمل ما صنع الحجاج بن يوسف  
وكيف أصلح ما فسد من العراق وأزال ما وقع بين أهله من الشقاق حتى  
جعل الجزيرة والحرمين أقرب الى طاعة الأمويين من الشام ومصر ثم انظر  
الى الدولة العباسية كيف قامت على أثر تلك الدولة بتدبير أبى مسلم (رحمه  
الله) وكيف عجز أبو جعفر بعد مقتله عن رد الفرس والأكراد الا بسياسة  
خالد البرمكى انى ضمن له الكفاية عليهم بالرأى (٤) دون الجنود . وانظر

(١) السيوطى وابن خلدون وابن الأثير ٦ : ٦٦ والأغانى ١٧ : ٤٥ والمسعودى

١٥٨ : ١ (٢) الاتليدى (٣) نذكر هنا أنه ما توطن للاسلام ملك فى أفريقية

الا فى خلافة معاوية بن أبى سفيان (٤) ابن خلكان ١ : ١٤٩

الى دولة الرشيد كيف زهت في وزارة البرامكة بما لم تزه به دولة (١) الهادي، ووزراؤه أغفال من آل الربيع . فهذه دول لم تزه بقوة الجند كما يسبق الى وهم الناس ، لأنه لم يكن لأبي مسلم من الرجال ما كان للملوك بنى أمية ولم يكن للرشيد ما كان للهادي قبله . وإنما كان المعزز لها رجالاً يرسلون من عقولهم على الناس أشمة كأشمة الشمس بها يستنيرون . وفي ضوئها يسرون، ولا سيما هؤلاء البرامكة الأعماد الذين حرم الرشيد دولته مساهمتهم له فيها وتديرشونها ، واستأ أعلم ما يكون من أمره مع صهب السبيل (٢) ولقد قام به اليوم من الندم والأسف (٣) على جعفر والتلف على ما سبق به القضاء ما يشغله عن الدنيا قاطبة ، فقد أخبرني من هو مقرب إليه أنه يذكره لكل طلوع شمس . ويكي عليه بتحرق نفس . ولا يستطيع الخلوته بنفسه على انفراد بعد مصرعه إلا أن يكون عنده جماعة يلهو بمسامرتهم عما فرط منه في أمره ، (٤) وإذا خلا مجلسه أمر الحجاب أن يدخلوا عليه من يجدونه من الندماء (٥) ليستأنس بهم ويتسلى بمنادمتهم عما هو فيه من البلاء وقد رأى خلل السياسة في دولته وكثرة الأراجيف .

فما يتحدث به الناس من أسباب نكبة الرشيد للبرامكة

ولما كان الحديث عن هذه النكبة الفظيعة دائراً على ألسنة الناس اختلفت آراؤهم فيما دعا الرشيد إليها ، وإن كانت خواطرهم متوافقة في لومه

(١) الزبخري في ربيع الابرار (٢) هي لقب للزوم (٣) الأغانى

٧٤ : ١٧ (٤) العقد الفريد ٣ : ٢٨ (٥) ابن خلكان ١ : ٣٢ و ذكر غيره

أن الرشيد كثيراً ما كان يوجه خادمه في طلب بعض خواص البولة ومن يكون عندهم حيناً يطلبهم

والبكاء على جعفر . فمن قائل إنه نكبه وأهل بيته لاستبدادهم بأمر الأول  
 واحتجافهم أموال الجباية ، حتى لقد كان يطلب الدسير من المال فيما يزعمون  
 فلا يصل إليه ، ومن قائل إنه حنق على جعفر لتطاوله عليه في الكلام اذ  
 كان يقول لى لئن لم يرجع الرشيد عن سوء ظنه بهم ليكون ذلك وبالاً  
 سريعاً عليه ، <sup>(١)</sup> ومن قائل انه تنغص من الفضل أن يكون أكرم مر  
 أولاده ، ومن جعفر أن يكون أفصح منهم لساناً وأحكم سياسة ، وهر  
 محمد أن يفضلهم في الروعة ، ومن موسى أن يغلبهم في الشجاعة فنكبه .  
 لذلك .

ولست أظيل عليك الكلام في أمر هؤلاء الملوك الذين رمام الدهر  
 بالأرزاء وسحب عليهم أذيال الفناء . ولو أنى كتبتُ اليك غير ما ذكرت  
 ما بقى لدى الآ البكاء والنحيب ، على أنى أحب أن أختم رسالتى اليك  
 عنهم بذكر مأثرة من بعض ما صنعوا الى الورى من الجميل . وهى أن  
 الرشيد <sup>(٢)</sup> مع تشديده في النهى عن رثائهم بلغه أن رجلاً يحضر ليلاً الى  
 دورم ويُنشد أشعاراً ويذكر محاسنهم وما ثرم ويندبهم ويبيكى عليهم ثم  
 ينصرف ، فدعا مسروراً هذا الخادم اللثيم وسارّه بالأمر وأمره بأن يمضى  
 تحت الليل حتى يرد تلك المنازل الدارسة التى كانت مظهر الأُنس بما آتى  
 الله أهلها من سعة الملك . وأن يستتر خلف بعض الجُدُران هو واثنان من  
 اخدمسه هما له وأطنهما ياسراً ومرّوان ، <sup>(٣)</sup> حتى اذا جاء ذلك الشيخ وبكى  
 وندب وأنشد الأشعار قبضوا عليه وجاءوا به إليه فأخذ مسرور الخادمين

(١) الا تلبدى ١٦٨ (٢) هذه القصة قد وقعت المأمون لا للرشيد ، انما  
 ذكرناها هاهنا تنمياً لمحاسن البراءة

ومضى بهما آخر الليل إلى تلك المنازل ، فاذا هم بفلام قد أقبل ومعه بساط وكرسى حديد ، وأقبل بعده شيخ له جمال وعليه مهابة وآثار نعمة ، فجلس على الكرسي وجعل يبكي وينتحب ويقول .

ولما رأيت السيف جدل جفرا ونادى منادٍ للخليفة في يحيى بكيت على الدنيا وزاد تأسنى عليهم وقلتُ الآن لا تنفع الدنيا مع آيات أطلها ، فلما فرغ قبضوا عليه وقالوا له أجب أمير المؤمنين ففرع فرعاً شديداً ، وقال دعوني حتى أوصى بوصية ، فاني لأوقن بعد اليوم بحياة ، ثم تقدم إلى بعض الدكاكين واستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصيته وسلمها لفلامه ، ثم سار به مسرور إلى دار الرشيد ، فلما مثل بين يديه زجره وقال له من أنت ؛ وبم استوجب البرامكة منك ما تفعل في خربات دورهم ؟ فقال يا أمير المؤمنين إن للبرامكة أيادي خطيرة ، أفتأذن لي أن أحدثك بحالي معهم ؟ قال قل ، فقال يا أمير المؤمنين أنا المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك ، وقد زالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال ، فلما ركبنى الدين واحتجتُ إلى بيع ما على رأسي ورءوس أهلي وبيتي الذي ولدت فيه : أشاروا علي بالخروج إلى البرامكة فخرجتُ من دمشق ومعى نيف وثلاثون امرأة وصبيًا وصبية ، وليس معنا ما يباع أو يوهب ، حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض المساجد فدعوت بثياب كنت أعددتها لأستر بها فلبستها وخرجت وتركتهم جياعاً لا شيء عندهم ، ودخلتُ شوارع بغداد فاذا بمسجد مزخرف وفي جانبه شيخ متزى بأحسن زى وزينة ، وعلى الباب خادمان ، وفي الجامع جماعة جلوسٌ فطمعت في القوم ، ودخلت المسجد وجلست بين أيديهم ، وكنت أقدم رجلاً وأوخر أخرى ، والعرق

يسيل منى ، لانها لم تكن صناعتى واذا بخادم قد اقبل ودعا القوم ، فقام  
وقمت معهم حتى دخلنا جميعاً دار يحيى بن خالد ، واذا هو جالس على دكة  
فى وسط بستان فيه اطيب الرياحين ، فسلنا عليه فرد علينا السلام وهو  
يمدنا مائة وواحداً ، وبين يديه عشرة من ولده واذا بلام امرد قد عذر خداه  
قد اقبل من بعض المقاصير وبين يديه مائة خادم متمنطقون فى اوساطهم  
منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ، ومع كل واحد جُمرة  
من الذهب ، فى كل جُمرة قطعة من العود كهيئة الفهر قد قرن بها مثلها من  
العنبر ، فجلس الغلام بجانب يحيى ووضعت تلك الجمار بين يدي الغلام ،  
ثم قال يحيى للقاضى زوج بنتى عائشة من ابن عمى هذا فخطب القاضى خطبة  
الزواج وأجرى صيغة العقد وشهد اولئك الجماعة واقبلوا علينا بالشار من  
بنادق المسك والعنبر ، فالتقطت والله يا امير المؤمنين ملء كفى ، ونظرت  
فاذا الحاضرون بالمجلس ما بين يحيى وأولاده والمشايخ والغلام مائة واثنى  
عشر رجلاً ، واذا بمائة واثنى عشر خادماً قد اقبلوا يحمل كل واحد منهم  
صينية من فضة عايتها ألف دينار ، فوضعوا بين يدي كل واحد منا صينية ،  
فرايت القاضى والمشايخ يصبون الدنانير فى اكمامهم ، ويجعلون الصوانى  
تحت اباطهم ، ويقومون واحداً بعد واحد حتى بقيت وحدى لا اجسر على  
أخذ الصينية فغمزنى خادم فجسرت على أخذها ، وجملت الذهب فى كفى  
وأخذت الصينية يسدى ، ثم قتت وجملت التفت خلفى مخافة أن أمتع من  
الذهب ، فبينما أنا كذلك فى صحن الدار ويحيى يلحظنى إذ قال للخادم  
ايتنى بهذا الرجل ، فرددتُ إليه ، فأمرنى بصب الدنانير والصينية وما فى  
كفى ، ثم قال اجلس فجلست ، فقال لى ممن الرجل ، ولم تلتفت خلفك ؟

فقصصتُ عليه قصتي ، فقال للخادم ايتني بولدي موسى ، فأتى به ، فقال يا بني هذا رجل غريب فخذهُ إليك واحفظه بنفسك ونعمتك ، فقبض موسى عليّ وأدخلني إلى دار من دورهِ وأكرمني غايةَ الأكرام وأقمتُ عنده يومي وليتي في الد عيش وأتم سرور ، فلما أصبح دعا أخاه محمدا وقال له إن الأمير قد أمرني بالمطف على هذا الرجل وغيرُ خاف عليك اشتغالي اليوم في دار أمير المؤمنين فاقبضه إليك وحوطه بنعمتك ففعل ذلك وأكرمني غاية الأكرام ، فلما كان من الغد تسلمني أخوه العباس فبتُ ليلتي عنده بين غناء وأنوار وبهجة ثم تسلمني أخوه خالد ،<sup>(١)</sup> ولم أزل في أيدي البرامكة يتداولوني مدة عشرة أيام لا أعرف خبر عيالي وأهلي أفى الأموات هم أم في الأحياء ، فلما كان اليوم الحادي عشرَ جاءني خادم ومعه جماعة من الحشم والعلمان فقالوا لي قم فاخرج إلى عيالك بسلام ، فقلت ويلاه سلبتُ الدنانير والصينية وأخرجُ إلى عيالي على هذه الحالة ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، فرفع السُّرَّ الأول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع ، ولما رفع الخادم السُّرَّ الأخير قال لي مهما يكن لك من حاجة فارفعها إلى فاني مأمور بقضاء جميع ما تأمرني به ، ثم بدت لي حُجرة كالشمس بهاء وإشراقا ، واستقبلتني منها رائحة الند والعود ونفحات المسك ، وإذا بصبياني وأهلي يتقبلون في الحرير والديباج ، ومُحِل إلى ألف ألف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشوران بضيمتين من عمل السواد وتلك الصينية التي كنت أخذتها بما معها من الدنانير وبنادق ، وأقمت يا أمير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أنا من البرامكة أم رجل غريب اصطنموه .

(١) ذكره صاحب العقد الفريد ٣ : ٢٨ من أولاد يحيى بن خالد

فلما نزلت بهم الفاجعات أجنفتني عاملك على العراق وأزمني في هاتين  
الضيمتين ما لا يفي دَخلُهُما به . ولما تحامل على الدهرُ كنت في آخر الليل  
أقصد منازلهم فأندبهم وأذكر حسن صنيعهم إليّ وأشكر عطفهم عليّ .  
فقال الرشيد كم أخذ منك هذا العامل ؟ قلت كذا وكذا ، قال هو مردود  
عليك وستبقى أنت وعيالك من بمدك على ما كان لك في أيام البرامكة .  
فملا نحيب الرجل حتى كاد يقع من شدة بكائه ، قال له يا هذا قد أحسنًا إليك .  
برد ما قد سلِبَ منك فما يُكيك ؟ فقال يا أمير المؤمنين وهذا أيضًا من  
صنائع البرامكة ، إذ لو لم آتِ منازلهم فأبكيهم وأندبهم حتى اتصل خبري  
بأمر المؤمنين وفعل بي ما فعل ما كنت أصل إلى أمير المؤمنين ، فدَمعت  
عينا الرشيد وظهر عليه الحزن ، وقال لعمري هذا من صنائع البرامكة فعلهم .  
فابك ، وإياهم فاشكر ،<sup>(١)</sup> والله درّ أبي نواس حيث يقول في وداع الدنيا التي  
أوحشت لفقدهم

سلام على الدنيا إذا ما فُقِدتمُ      بنى برمك من رأتين وغاد<sup>(٢)</sup>

### خاتمة الكتاب

أودعت رسالتي اليوم إليك سطوراً قد كتبتها بدموع العين وأنا بين  
حزن على هؤلاء الشهداء وخوف من الرشيد أن يُعلمه بموضعي الرقباء  
فيقطعني ما ينالني منه عن الاستصراخ إلى دعوتهم في خراسان وفارس  
وسائر بلاد الخير واليمن ، لأنني علمت من بعض المقرّبين إليه أنه يطلبني طلباً  
حيثاً ، وقد جعل لمن يأتيه بي مالا جزيلا ، وربما كان هذا الكتاب آخرَ

(١) الفخرى والأبشهي ١٩٩ والابشهي ١: ٢٤٣ (٢) الوطواط ٦١٣

عهدي بمراسلتك بعد اليوم . . . . . وإن كنت قد رأيت فيما تقدم إليك من الكتب السالفة أن العرب قد حصلوا في زماننا هذا ما لم يخلج في صدورهم زمن الخلف ، ونبغوا الثبغة الثامة في جميع الفنون والصناعات والمعارف ، وتبحروا في حكمة الروم والفرس على اجتهاد ، ودنوا أصول الشريعة في مذاهب صحيحة المبدأ جميلة المعاد ، فانما الفضل في ذلك كله عائد إلى البرامكة ، وهم الذين رفعوا منار العلم وقربوا إليهم الأدباء وأجزلوا أعظيهم بالمال الكثير ، وكان عصرهم تاجاً<sup>(١)</sup> على هامة الدهر ونوراً أضاء به المشرق حتى انقلب من الضعة إلى سمو الارتفاع ، ومن عمية الجهل إلى نور الاطلاع . فها هو عندي إلا الزمن الذي يبقى موسوماً عند العرب بالعلم والصلاح وكثرة الخير وسعة أسباب المعاش والارتفاع بعلوم الأعاجم ومحاسن هؤلاء الملوك<sup>(٢)</sup> الذين كانوا جمال المشرق وحسن الاسلام وزينة العالم<sup>(٣)</sup> ومنعة هذه الدولة التي لم تقم من قبلهم إلا بالحيل والمكايد ، فانك لتعلم أن الدعوة التي قام بعبائها أبو مسلم (رحمه الله) إنما كانت لدرية النبي (صلى الله عليه وسلم) وهم أولاد الحسن والحسين (رضى الله عنهم) ، ولم يكن للعباسيين غرض في انضمامهم إليها إلا مقارعة بني أمية في جملة من انضم إليها من أهل البيوتات ، حتى إذا خدمهم السيف رأوا أن ينفردوا بالخلافة دونهم ، ويصرفوهم عنها بالحيلة التي كان يمزجها أبو جعفر باشتداده على العمال وإرهاق الرعية في الخراج ، حتى يقع فيهم الفشل ويقعدهم عن الخروج عليه في دعوتهم ، فكان عظماء الملة يرون ذلك منه ولكنهم لم يروا أن يحملوا

(١) العقد الفريد والفتوح والسيوطي وابن خلكان (٢) الزمخشري في

ربيع الأبرار (٣) يقول الحصري ٢: ١٠٣ ان أيامهم كانت روض الأزمنة

الأمة على الخلاف ضناً بالنفوس الصالحة أن تسيل دماؤها في قتال المسلمين  
بالمسلمين، فثبت له الملك من هذا الوجه، لم ينازعه فيه إلا جماعات متفرقة  
من أهل الدعوة ومن كان لا يضمهم الفرض إلى جامعة واحدة في جميع  
الأحشاء، فلم يستطيعوا مقاومته ولا بلغوا من غرضهم إلا أن جعلوا له  
سبيلاً إلى غاب جماعة منهم بعد جماعة، فلما تقلب عليه حب الولد فخلع  
ابن عمه عن ولاية العهد وصيرها للمهدى من بعده لم يكن في الناس إلا  
من ينغص ذلك عليه، فخاف الربيع أن تذهب الخلافة من ولده وله  
في مصيرها إلى المهدى مصلحة لا تكون في دولة غيره من أهل البيت  
ولا من العباسيين أنفسهم، ففتق له عقله تلك الحيلة التي تسارع أهل الحل  
والعقد إلى تنفيذها خوفاً من أبي جعفر لظنهم أنه حتى لم يمت، فلما استوثق  
له الأمر استهلّ خلافته باستمالة الناس بالاحسان والمعروف حتى لا تنفر  
منه قلوبهم ولا يظنوا به متابعة لسيرة أبيه، وأقام لهم ديوان المظالم ورفع  
عنهم ضرائب الخراج ووسّع لهم أسباب المعاملة بعد ما ضاقت نفوسهم  
حتى استمالهم لفرضه وضاروا طوعاً ويمينه، فلم يبق عليه بعد ذلك إلا أن يأمن  
خروج أهل الدعوة في جمع غير متفرق، فرأى أن يستميل إليه الحرم الآمن  
وهو الموضع الذي يُنادى فيه بالحقوق المقدسة لأربابها من أهل البيت  
ففرق في أهله الأموال الجسام. ووالى على عامتهم جزيل الانعام، وجدّد  
لهم بناء البيت الحرام وعهد إلى عظمائهم بالولايات والامارات، وأجرى  
الأرزاق الواسعة على من استخدم في الجند من أولادهم كما علمت. فلما آلت  
الخلافة إلى الهادي وصارت إرثاً في بيت أبي جعفر رأى البرامكة برأيهم  
الصائب أن ليس للعلويين بعد ذلك كلّه مطمع في المشرق بازاء العباسيين

الذين يستخدمون الحيلة من وراء السيف لقهروا أخصامهم ، فانصرفوا عن تدبير أمر الحرمين لهم إلى تمهيد الطريق لخلافتهم في المغرب ، وراموا تعظيم دولة الرشيد بضم المشرق كله الى جناحه حتى ينصرفَ عن مقارعة أهل البيت في إفريقية ويقنع بما دبّروا له من السلطان العظيم الذي لم يكن مثله لأحد من الخلفاء قبله ، فكان بعض ما أشاروا به عليه لتعميم هذا السلطان أن يأخذ الرعية باللين والعطف بعد أن آمنوه خروجهم في دعوة أهل البيت وبنى أمية وغيرهم ، فجرى على ما رسموه له من سياسة الرفق والحلم برهة من الزمان ثم غلب عليه حب الأثرة فرجع الى الشدة ونكّل بمن كان أحبّ الناس إليه .

هذه هي دولة عباسيين التي أشرقت شروق الشمس في البهاء والعظمة ، وإنها تحتاج الى رجال عقلاء يُديرون سياستها ، لأنها لو سقطت على يد خليفة قليل الخبرة بأموال الملك ما قامت لها قائمة بعد ذلك ، فالיום أترك الاسلام بين رايات خضر وسودويض ، فأما العلويون فإنهم حازون أمر المشرق وهم أهل سيف شديد الوطأة . وأما الأمويون فإنهم يرتقبون الخلافة من وراء البحار، ويرومون إعادة الملك الذي ذهب من أيديهم بفضلة صبيانهم في دمشق ، والمسلمون في عرض ذلك يتمزقون بالفتن والشقاق ، فإذا كان هذا حال الدولة من العظمة وهي متفرقة على أغراض لا تضمها الى الوحدة فما الظن لو جمعتها عصبية الدين إلى جامعة الاسلام ففي المسلمين ملوك عظام أحسبهم ينتهبون الى ما بهم من الاتقسام . وقيمون على أساس الجامعة دولة تهتز لها دول الروم والله يوتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، لا اله إلا هوربُ العرش العظيم .

## الأسفار التي وجدت بين يدي وأسندت إليها رواية الرحالة

« علوم الدين والشرع ،

سنة		
١٢٨٧	طبع بولاق	الاتقان في تفسير القرآن للسيوطي
١٨٥٣	» بن	الأحكام السلطانية للماوردي
١٢٨٦	» بولاق	رد المختار على الدر المختار لابن عابدين
١٢٧٦	» القسطنطينية	مجمع الأنهر على ملتقى الأبحر لشيخ زاده
١٢٧٩	» بولاق	شرح الزرقاني على موطأ الامام مالك
١٢٨٧	» مصر	كليات أبي البقاء
		ومطالعات في صحيح البخاري وتفسيرى الزمخشري والبيضاوي

« علم اللغة ،

صحاح الجوهري . المحيط للفيروزابادي فقه اللغة للثعالبي

« الممالك والبلدان ،

١٨٧٧	طبع ليدن	أحسن التقاسيم في معرفة البلدان والأقاليم للقدسي
١٨٧٢	» »	المسالك والممالك لابن حوقل
١٨٥٢	» »	الرحلة ( إلى المشرق ) لابن جبير
١٨٦٦	» ليبسيك	معجم البلدان لياقوت
١٨٤٠	» باريس	تقويم البلدان لأبي الفداء
١٨٦٥	» »	المسالك والممالك لابن خرداذبه
١٨٣٧	» »	الفيض المديد في النيل السعيد لأحمد المنوفي
١٨٧٠	» ليدن	مسالك الممالك للاصطخرى
١٢٧٠	» بولاق	الخطط والآثار للمقريزي
١٧٨٩	» تورنك	آثار مصر لعبد اللطيف
	» ررمية	نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للأدريسى
١٨٥٣	طبع باريس	تحفة النظر في عجائب الأسفار لابن بطوطة
١٨٤٨	» غوتنغن	أخبار العباد وآثار البلاد للقزويني
	( خط )	جواهر البحور . ووقائع الدهور لابراهيم بن وصيف شاه
	( » )	نشق الآثار . في عجائب الاقطار لمحمد بن اياس
		السير والأخبار وأيام الناس
١٢٩٠	» بولاق	الكامل لابن الأثير

سنة		
١٨٨٠	طبع ليدن	تاريخ الملوك وأعمارهم للطبرى
١٢٨٤	• بولاق	ديوان المتبدا والخبر لابن خلدون
١٢٨٦	• القسطنطينية	تاريخ أبي الفداء
١٨٥٨	• غريفزولد	الآداب السلطانية والدول الاسلامية للفخرى
١٢٨٣	• بولاق	مروج الذهب للسعودى
١٢٧٩	• •	نفع الطيب فى غصن الاندلس الرطيب للمقرى
١٢٧٥	• •	وفيات الأعيان لابن خلكان
١٦٦٣	• ا كسفور	تاريخ الدول لآبى الفرج الملطى
	• بولاق	أخبار الدول والاسلام ( الخميس )
	( خط )	تاريخ الخلفاء للسيوطى
١٢٨٣	• مصر	الآنس الجليل فى تاريخ المقدس والتحليل للسيوطى
	مصر طبع حجر	حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة للسيوطى
١٨٥١	• ليدن	النجوم الزاهرة . فى أخبار مصر والقاهرة لآبى المحاسن
١٢٨٠	• بولاق	أعلام الناس فيما وقع للبرامكة مع بنى العباس للأتليدى
	( خط )	فتوح الشام للواقدى
١٢٩٠	• بولاق	آثار الأول للقرمانى
١٧٨٢	• •	فوات الوفيات لمحمد بن شاكر
١٢٨٣	• •	العقد الفريد لابن عبدربه
١٢٨٦	• طبع تونس	المونس فى أخبار إفريقية وتونس لابن أبى دينار
	( خط )	قضاة الشام لشرف الدين الانصارى
		لطائف الأخبار الأول . فىمن تصرف فى مصر
١٣٠٠	• مصر	من أرباب الدول . للاسحاقى
		تحفة الناظرين فىمن ولى مصر من السلاطين للشرقاوى
١٣٠٠	• مصر	مطالعات فى ابن الوردى والازرقى

### العلوم الأديسة

		الفهرست لآبى يعقوب الوراق
١٨٦٣	• لندن	حاجى خليفة . كشف الظنون . عن العلوم والفنون
١٢٨٥	• بولاق	الاغانى لآبى الفرج الإصبهانى
١٨٧٩	• بيروت	المقامة لابن خلدون

سنة	طبع بولاق	الممل السائر لابن الاثير
١٢٩٩	د قسطنطينية	أدب الدين والدنيا للباوردي
١٢٧٥	د بولاق	حياة الحيوان للدميري
١٨٤٩	د كوتتكن	عجائب المخلوقات للقزويني
١٢٩١	د بولاق	خزائن الأدب لابن حجة
	د بيروت	مقامات الحريري
١٢٨٤	د بولاق	جمع الأمثال للبيداني
١٢٧٧	د باريس	قلائد العقيان . للفتح بن خاقان
١٢٧٩	د بولاق	المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيبي
	د حجر	سهج البلاغة للإمام علي كرم الله وجهه
	خط	طبقات الشعراء لأبي عبيدة
١٢٧٨	د مصر	شرح لامية ابن الوردي للقناوي
١٢٧٩	د بولاق	سراج الملوك للطرطوشي
١٢٨٦	د	الطبقات الكبرى للشعراني
١٢٦٢	طبع باريس	مختصر كتاب الخراج لقدامة بن جعفر
١٢٨٨	د بولاق	الكنز المدفون . والفلك المشحون للسيوطي
١٢٨٤	د	شرح مقامات الحريري للشريشي
	(خط)	الكشكول لبهاء الدين العاملي
	د دمشق	يتيمة الدهر . في شعراء اهل العصر للثعالبي
		زهر الآداب وثمر الالباب بهامش العقد الفريد للحصري
١٢٨٤	د بولاق	غرر النصائح الواضحة لأبي الوطواط
	خط	سرح العيون لرسالة ابن زيدون لابن نباتة المصري
١٢٩١	د بولاق	تزيين الاسواق . في احوال العشاق لداود بن عمر
١٢٦٩	د الموصل	فاكهة الخلفاء لابن عمر شاه
١٢٥١	د بولاق	كتاب ألف ليلة وليلة
١٢٩٠	د	نور الابصار في مناقب آل بيت النبي المختار للشبلنجي
	د باريس	كليه ودمنه لابن للمقع
	د بولاق	حلبة الكميث لشمس الدين التواجي
١٢٨٧	د القسطنطينية	الموازنة بين أبي تمام والبحري
		مطالعات في لطائف العرب وريبع الابرار للزمخشري وغير ذلك